الإمام الحسن المجتبى عليه السلام مربي الأجيال

الباحثة
شيماء كاظم مهدي الحسيني

الباحث
نبيل كاظم مهدي الحسيني

كلية مدينة العلم الجامعة

المقدمة:ـ

باعتبار ان الله سبحانه رب العالمين فقد تولى برأفته ورحمته تربية جميع الموجودات وسلك بها جميعاً على اختلاف طبائعها نحو الكمالات اللائقة بها وافاض على كل منها بحسب استعداده ودعاها اليه ليصل كل منها اليه سبحانه كل بما يناسبه حاله.

وقد وعد تعالى الانسان عصارة الوجود وخلاصة الموجودات فأشاد به (بكرمنا) ومن عليه بأعلى درجات الاستعداد والاستيعاب ووهبه قدرة واقتدار لا يضاهي وحمله - بعد ذلك - امانة كبرى ابت الجبال حملها واشفقت السماوات والارضون من تحمل اعباءها فتحملها هذا الموجود الظلوم الجهول متلهفاً مشتاقاً فكانت الغاية من خلقه ان يبلغ كماله الانساني في ظل عبوديته لله عزّ وجل.

إن تميز هذا الانسان يكمن في ان الله سبحانه من عليه أولاً بان نفخ فيه من روحه ثم امتحنه بان جعل له سمعاً وبصراً وجعل له ارادة نفسه ليختار الخير أو الشر وقد اتاح الله تعالى للشيطان فسحة لاقتحام النظام التربوي لهذا الانسان بان مكنه بان يوسوس له وان يدعوه لشروره في المقابل واتر رسله إلى خلقه فكانوا النبي تلو النبي حملة رسالة الله على افضل وجه شكلاً ومضموناً فلأدلة محكمة والمضامين سامية والغايات نبيلة والكتب ربانية كل ذلك لغرض الدعوة إلى الله جل شأنه وكان خاتم الانبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله افضلهم وكتابة اكمل الكتب واعلن فيه ان الغاية في نزوله هي التربية والتعليم التي جعلت محوراً رئيسياً للبعثة

وقد تولى الرسول صلى الله عليه وآله تربية الامة بمخزون الخلق الكريم وبعد ان اختار الله نبيه اليه قام بالدور من بعده عترته الطاهرة من الائمة سلام الله عليهم اجمعين فكانوا حملة رايته ودفعوا في سبيل ذلك ثمناً غالياً ولم يتوانوا لحظة واحدة في تزويد البشرية السالكة إلى الله تعالى بما تحتاجه في درب الحق والحقيقة فرووهم من عذب ما يملكون ولم يتركوهم عرضة لقطاع الطريق الظاهرين والباطنين.

وقد كان الامام الحسن المجتبى عليه السلام واحدا من هذه الكوكبة الخيرة المربية للامة التي اختارها الله تعالى لهذه المهمة التي لا يطلع بها سواهم وبهذه الجدارة لقيادة امة جدهم واعلاء كلمة التوحيد بأحسن صورة ترجى.

فهو سيد شباب اهل الجنة وثاني أئمة اهل البيت وواحد أهل الكساء الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وقد نشأ في احضان جده النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وتغذى من معين رسالته وأخلاقه ويسره وسماحته وقد ورثه هدية وأدب وهيبته وسؤدده ولقد اجتمعت فيه شرف النبوة والإمامة إضافة لشرف الحسب والنسب ووجد المسلمون فيه ما وجدوه في جده وابيه فأصبوه وعظموه وكان مرجعهم الاوحد في ما كان يعترضهم ويستعصي عليهم وكان لهم الاب الرحيم والمعلم المربي والهادي إلى ما فيه صلاح اولاهم وافراهم فقد نهض بأعباء الامة بكل ادوارها بما فيها وكان المربي لأولاده وشيعته بل لامة المسلمين على مر العصور.

وفي هذه الاوراق القادمة نحاول الولوج إلى حياة الامام الحسن المجتبى عليه السلام بعنوان انه مربي - وهو دور من ادوار الامة - لتنشأة اجيالاً مؤمنة تحي رسالة التوحيد لتقوم كلمة لا اله الا الله بإعمار الارض وهذا ما قام به الامام عليه السلام في حياته التي كانت درجة في سلم العروج إلى الله تعالى فهو امتداد لحياة جده وابيه وامه الزهراء عليها السلام وهو مثالاً للمربي القدوة لأخيه الحسين عليه السلام ولأولاده المعصومين عليهم السلام ولأبناء امة جده صلى الله عليه وآله عبر الاجيال.

مختصر من سيرة الامام الحسن عليه السلام:

ولد امام الشيعة الثاني - وهو الثمرة الأولى لزواج علي الميمون من كريمة النبي - في النصف من شهر رمضان للسنة الثالثة من الهجرة في المدينة[١]. لم يدرك الحسن بن علي من حياة جده العظيم إلا سنين قليلة حيث كان في حوالي السابعة من عمره عندما توفي النبي، وقد عاصر أباه أمير المؤمنين حوالي ثلاثين عاماً بعد جده، وتولى الامامة بعد استشهاد علي عام أربعين مدة ١٠ سنوات، واستشهد - وبمؤامرة من معاوية - مسموماً عام ٥٠هـ في الثامنة والأربعين من عمره، ودفن في مقبرة البقيع بالمدينة[٢].

أهمية التربية ودور المربي وأثره كقدوة في عملية التربية:

التربية مصطلح ومفهوم يعتبر من اكثر المفاهيم وضوحاً عند الناس حتى العامة لأن معظم الناس يمارس عملية التربية في الاسرة والمجتمع وقيل ان للتربية اكثر من الف تعريف في اللغة والاصطلاح وكل عالم ينطلق من مفهومه الخاص ومن وجهة نظره الفلسفية للحياة والكون.

فالتربية لغة: من ربى يربي بمعنى هذب ووجه ساس وقاد وتحدى، والفعل ربا بمعنى زاد ونما فهي عند اللغويين تفيد السياسة والقيادة والنمو والتغيير.

أما تعريفها الاصطلاحي: فهي اعداد الافراد اعداداً صالحاً للحياة الاجتماعية الهادفة وما تتميز به هذه الحياة من حضارة وفقا لأطر مذهبية وفكرية معينة[٣].

وهناك تعريف آخر مختار وهو: ان التربية هي عملية تدريب على تعلم السلوك العبادي.

وانطلق هذا التعريف من حقيقة قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فالهدف من خلق الإنسان - من وجهة نظر الإسلام - هو العبادة فالعمل والسلوك العبادي هو العمل المطلوب منا وان سائر حياة الانسان هي عمل فما من واقعة أو

حركة إلا ولله فيها حكم فكل عمل يقوم به الإنسان كالنوم والكلام والاكل والشرب له حكم ويمكن تحويله إلى عبادة اذانهم الانسان اليه نية القربة فالعبادة هي ان يمارس الانسان سلوكاً مع الالتزام بمبادئ واحكام الله تعالى.

وعلى هذا فان التربية تتقوم باركان منها وهو الركن المهمة المربي الذي يقوم بعملية التربية وقد يكون المربي اب أو ام وغيرهم ممن يقومون بهذه العملية العبادية، وان اول مربي هو الله تعالى وهو القدوة الكاملة ومن ثم النبي صلى الله عليه وآله فهو مربي وهو قدوة واسوة فالتربية تتقوم بعنصرين:

١- الوراثة ٢- البيئة

وهذين العنصرين مهمين في عملية التربية ويراعي المربي هذين العنصرين.

أما الذي يقوم بعملية التربية تتوفر فيه شروط متعددة المهم منها هذا المورود هو ان يكون المربي قدوة واسوة فان الله تعالى المربي الاول للرسول صلى الله عليه وآله حيث يقول الرسول (ادبني ربي فاحسن تأديبي)، ان الله تعالى هو الكمال المطلق والرسول صلى الله عليه وآله يتأسى باخلاق الله وصفاته جل جلاله فهو تجلى من تجلياته سبحانه وهو تجسيد لصفات واسماء الله تعالى الحسنى وبهذا كان الرسول صلى الله عليه وآله مقتدٍ بالله تعالى وكان قدوة لمن اراد التأسي به وهكذا كان الأئمة من بعده وذريته عليهم السلام.

فالمربي اذا كان استاذاً أو معلماً فانه يراعي ويختار اصدقاءه مثلاً بل وحتى ملابسه وطريقة كلامهِ وسلوكهِ ومعاملاته مع الآخرين لان القدوة لطلابه وتلامذته فانهم يقلدونه في كل شيء في تصرفاته أو صفاته وسلوكياته المختلفة لان من يختار أسوة وقدوة فانه يؤثر فيه وفي شخصيته وهذا ما يقوم به المربي فهو يقتدي به لسببين:-

١- أنه يؤثر في قلب المتأسي وبأسره.

٢- ان عمله وسلوكه يكون نصب عيني المتأسي.

والسببان يمكنهما لتعبئة جميع الاستعدادات والقوى الانسانية في شخص المتأسي لتقريبه من الاسوة ودور المحبة القلبية هو التسريع نحو الحركة باتجاه الموائمة بين سلوك المتأسي والاسوة.

ضرورة التربية:

الإنسان موجود متعال يمتلك استعداد الوصول إلى الكمال، وهو بحاجة في مسيره التكامليّ إلى أسلوبٍ تربوي قويّ وكامل. والإنسان الفاقد للتربية، فاقد لجميع الأمور، لذلك ينبغي السعي نحو تربية الروح يقول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حول ضرورة التربية الروحيّة والمعنويّة للإنسان: "عجبت لمن يتفكّر في مأكوله كيف لا يتفكّر في معقوله، فيجنّب بطنه ما يؤذيه ويودع صدره ما يرديه"(٤).

المربي إمام معصوم:ـ

وعلى هذا فان للنبي صلى الله عليه وآله وائمتنا المعصومين عليهم السلام الذين هم قدوتنا واسوتنا تربوياً وتكاملياً وضيفتين:

١- المودة: فقد مكن القرآن الكريم على لسان كل واحد من الانبياء عليهم السلام قولهم: (وما اسألكم عليه من اجر ان اجري إلا على رب العالمين)(٥)، وهذا القول ينقل بشكل قاطع وصريح ولكنه حينما يتحدث عن الرسول صلى الله عليه وآله يستثني شيئاً واحداً وهو محبة قرباه واهل بيته قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾(٦)، وفي آية اخرى يشار إلا ان حقيقة هذا الاجر الذي طالب به في مقابل رسالته لا يعود بالنفع اليه وانما إلى المحبين انفسهم قال تعالى: (قل ما سالتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد)(٧).

٢- العمل على وفق اقوالهم: فالوظيفة الهامة الاخرى هي العمل طبقاً لأقوال مصاديق (الاسوة) وارشاداتهم وفي هذه الحالة فقط يتجسد عنوان التشيع

لهم حيث يجتمع الحب والعشق من جهة والتأسي العمل من جهة اخرى.

وعليه فالتأسي بالمربي لتؤدي العملية التربوية نتاجها المرجوة ركنان لا بد من توفرهما معاً وفي حالة فقدان احدهما فثمة اشكال في تحقيق عنوان التأسي وفي الخبر عن الامام الصادق عليه السلام انه روى عن ابيه الامام الباقر عليه السلام قوله: (.. من ائتم بإمام فليعمل بعمله)[٨].

وقد وردت اخبار شريفة كثيرة تؤكد على وجوب مودة اهل البيت عليهم السلام وفي نفس الوقت الحدث على ان المحبة وحدها بدون عمل لا تكفي لتحقق عنوان التشيع وحقيقة الامر هي ان العشق والمودة القلبية ليست سوى محرك ودافع نمو الاسراع في الموالمة بين المتأسي والاسوة على مستوى الصفات والافعال الانسانية.

وفي الخبر عن الامام الحسن العسكري عليه السلام ان جماعة استأذنوا على الامام الرضا عليه السلام وقالو انهم من شيعة علي عليه السلام فلم يأذن لهم لعدة ايام ثم اذن لهم بعد ذلك وقال لهم: (ويحكم انما شيعة امير المؤمنين عليه السلام الحسن والحسين وسلمان وابو ذر والمقداد وعمار ومحمد ابن ابي بكر الذين لم يخالفوا شيئاً من اوامره)[٩].

لقد كان الصحابة الخلص هم من رباهم الامام وكان قدوة واسوة صالحة لهم وكانوا هم المنقادين لأوامره والمطيعين له في كل خطواتهم التي يخطونها في سيرهم لبارئهم فقد علموا ان طاعتهم لمولاهم هي طاعة الله تعالى وهي الاقتداء بالمعصومين ليكون الصحابي أو الموالي تجلي من تجليات امامة فهم ورثة العلوم عنهم وذلك حسب درجتهم المعرفية فقد تمايزت درجات الصحابة حسب ذلك ففي ضوء معرفتهم بالمعصوم تكون درجتهم وعليها تكون معرفتهم بالله تعالى يقول الامام الباقر عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي: (يا جابر ما سترنا عنكم اكثر مما اظهرنا لكم) وجابر نفسه - على ان ما حمله أو ما أظهر له من العلم هو القليل - كان لا يجد من لا يودعه هذا القليل فتضيق نفسه بما يحمله من العلم فيحفر له حفرة ويدلي رأسه فيها يُحدث الارض بما حمله من العلم ثم يطم الحفرة وينفس

بذلك عن نفسه ويطمئن بان الارض تستر عليه ما اذاعه لها وقد كان يفعل ذلك عملاً بنصيحة من الامام الباقر عليه السلام[١٠].

أسباب التربية[١١]:

أ. البيت والعائلة:

تعتبر العائلة من أهمّ أسباب التربية والهدف منها إيجاد وتربية الأجيال وهدايتها نحو الأهداف التربويّة الصحيحة. والعائلة هي المكان المقدّس الذي وضعت أسسه في الارتباط الزوجيّ بين إنسانين والتي تتّخذ شكلاً جديداً مع وجود الأبناء. أمّا نتيجة هذا الارتباط فهو الأبناء الذين قد يكونون في المستقبل صالحين أو طالحين في المجتمع. ويعتقد علماء النفس الاجتماعيّون أن العائلة واحدة من الأشكال التي حفظت آثار الحضارة. وقد وصل إلينا عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام آثار مهمّة في مجال تأثير ودور العائلة في عملية التربية الصحيحة.

دور الوالد الصالح:

الوالد الذي هو الركن المهمّ في العائلة، يجب أن يمتلك مجموعة من الصفات والشروط. يقول الإمام الحسن عليه السلام يخاطب شخصاً سأل عن رأي الإمام عليه السلام فقال: "زوجّها من رجل تقي، فإنه إن أحبّها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها"[١٢].

ممّا لا شكّ فيه أنّ الأب الذي هو مدير العائلة، إذا كان شخصاً صالحاً مؤمناً فسيعيش أفراد العائلة في ظلّ محبته وعطفه وحنانه، وسيحوّل العائلة إلى محيط آمن ويهيّئ الأجواء لتربية أبناء مؤمنين.

تأثير الأمّ الصالحة:

للأمّ دور مهمّ في نموّ ورشد قابليات الأبناء في البيت، لا بل إنّ سعادة وشقاء الإنسان يعود إلى أعمال أمّه. وقد أشار الإمام المجتبى عليه السلام إلى دور الأمّ الخاصّ في بناء شخصيّة الأفراد. عندما ناظر الإمام عليه السلام معاوية، أشار إلى دور الأمّ في علل

شقاء معاوية وسعادته وقال: "... وأمّك هند وأمي فاطمة، وجدّتي خديجة وجدتك نثيلة، فلعن الله آلأمنا حسباً وأقدمنا كفراً وأخملنا ذكراً..."(١٣).

والأمّ باعتبارها موجوداً عاطفيّاً تقوم بدور كبير في إيجاد الهدوء والاطمئنان عند أبنائها. لا بل تقوم الأمّ بدور مؤثّر وأساسيّ منذ انعقاد النطفة إلى مرحلة الطفولة، وبالأخصّ في مرحلة الحمل التي تصنع فيها الشخصية الأخلاقيّة والروحيّة للطفل، حيث تكون الأم مصدر الغذاء المباشر له. بناءً على ما تقدّم فإنّ إيمان وأخلاق الوالدين اللَّذَيْن هما ركنان مهمَّان في العائلة، شرط أساسي في الوصول إلى الأهداف التربويّة المتعالية.

ب. الأصدقاء:

يأتي الأصدقاء في المرحلة الثانية بعد العائلة حيث يؤثّر هؤلاء في تربية الطفل وتكوين أخلاقه. والطفل يميل بشكل كبير إلى الطفل الآخر الذي يساويه في العمر، مع العلم أنّ معاشرة الأصدقاء أصحاب الأخلاق من جملة الحاجات الطبيعيّة ومن أجمل وأفضل اللحظات التي يقضيها الطفل والناشئة عندما يكونان إلى جانب أصدقائهما.

وضّح المعصومون عليهم السلام الآثار السلبيّة والايجابيّة للصداقة والرفاقة وأوصوا أتباعهم مصاحبة الأشخاص أصحاب اللياقات.

يوصي الإمام المجتبى عليه السلام ابنه قائلاً: "يا بني لا تُؤاخِ أحداً حتّى تعرف موارده ومصادره فإذا استنبطت الخبرة ورضيت العشرة فآخِه على إقالة العثرة والمواساة في العسرة"(١٤).

ج. المنظمات والمراكز الاجتماعيّة:

يتأثّر الإنسان من خلال تردده إلى المجالس والمحافل بسلوك وحركات المشاركين فيها. يشير الإمام الحسن عليه السلام إلى أصل تأثير المجالس الاجتماعيّة ويوصي المشاركة في المحافل السالمة والمفيدة، يقول: "مَنْ أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب

إحدى ثمان: آية محكمة وأخاً مستفاداً وعلماً مستطرفاً ورحمة منتظرة وكلمة تدلّه على الهدى أو تردّه عن ردى"[١٥].

أساليب التربية[١٦]:

١ـ الاستعانة بحسّ الكمال:

يميل الأطفال والناشئة فطريّاً إلى الكمالات والصفات الإنسانيّة الجميلة. والمربّي يمكنه إرشاد المتربّين نحو أهدافه عن طريق الإرضاء الصحيح لمسألة التفوّق وبالتالي يشجعهم على النشاط والفعاليّة في سبيل الحصول على الكمالات. في أحد الأيام دعا الإمام الحسن عليه السلام أبناءه وأبناء أخيه ثم خاطبهم قائلاً: "إنكم صغار قوم، ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلّموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته"[١٧].

بهذا الأسلوب حاول الإمام عليه السلام ترغيب أبنائه، اكتساب العلم والدرس حيث ساروا بعشق ومحبّة على هذا الطريق حيث لا مجال فيه للتهديد والوعيد.

٢ـ التعريف بالنماذج التربويّة:

يبحث الطفل واليافع فطريّاً عن النموذج وتتجلّى حاجته الداخلية هذه في مسألة التقليد عنده. ينبغي للوالدين والمربين تعريف النماذج الصحيحة ليتمكنوا بذلك من توجيه حسّ التقليد عنده. الشيء المهمّ هنا هو معرفة النماذج الصحيحة والقدوة الكاملة التي يمكنها زرع الصفات الحسنة في الطفل. أمّا القرآن الكريم فقد استخدم هذا الأسلوب بشكل كبير حيث عرّف لنا النموذج الأسمى الكامل الذي لا نقص ولا عيب فيه. وهكذا كانت السيرة التربويّة للإمام الحسن عليه السلام، خطب الإمام عليه السلام خطاباً بليغاً بعد شهادة الإمام عليّ عليه السلام عَرَّف بالشخصيّة المميّزة للإمام عليه السلام وقال: "يا أيها الناس لقد فقدتم رجلاً لم يسبقه الأولون، ولم يدركه الآخرون، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليبعثه في السريّة وأن جبرئيل عليه السلام عن يمينه وميكائيل عن يساره، فوالله ما ترك بيضاء ولا صفراء إلا ثمانمائة درهم ثمن خادم"[١٨].

٣ـ إيجاد حالة الثقة والعزة بالنفس عند الطفل:

إنّ إيجاد الثقة والعزّة بالنفس عند الأطفال يجعل منهم أشخاصاً موفّقين في المستقبل. ويمكن تنمية هذه الصفة الجميلة في الطفل منذ الطفولة وبأساليب متعدّدة. وهنا نشير إلى بعض هذه الأساليب:

الأوّل: احترام الطفل:

أظهر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله مراراً عديدة الاحترام للإمامين الحسن والحسين عليهما السلام أيّام طفولتهما. في أحد الأيام دخل الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام على الرسول صلى الله عليه وآله وهو جالس فنهض احتراماً لهما ووقف ينتظرهما حتّى وصلا إليه.

كان الرسول صلى الله عليه وآله يتحرّك نحو الطفلين يستقبلهما ثمّ يحضنهما ثمّ يصعّدهما على كتفيه. وقد قال مشيراً إلى ما يقومان به معتبراً أنّ مركبهما نعم المركب وهما نعم الراكبان[١٩].

وفي رواية أخرى، يقول عبد الله بن عباس: "انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وآله فنادى على باب فاطمة ثلاثاً... فبينا هو كذلك إذ خرج الحسن بن علي قد غسل وجهه وعلقت عليه سبحة، قال: فبسط النبي صلى الله عليه وآله يده ومدها ثم ضم الحسن إلى صدره وقبله وقال: إنّ ابني هذا سيّد"[٢٠].

الثاني: مشاورة الأبناء:

مشاورة الأطفال واحدٌ من أساليب تشكيل شخصيّتهم. أوصى الإمام الحسن عليه السلام بهذه المسألة وكان يشاور أبناءه في موارد مختلفة، وبهذا النحو تمكّن من تربية شخصيّاتهم وأوجد فيها عزّة النفس. في أحد الأيّام دخل معاوية بن خديج منزل الإمام عليه السلام طالباً الزواج من إحدى بناته، عند ذلك قال له الإمام عليه السلام: "إنّا قوم لا نزوّج نساءنا حتّى نستأمرهنّ"[٢١].

الثالث: السلام على الأطفال:

كان الإمام الحسن عليه السلام يوصي بعدم الجواب على الكلام إذا كان قبل السلام[٢٢]. ولهذا الكلام أهميّة فائقة على مستوى معاشرة الوالدين لأبنائهم. يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: "خمس لا أدعهنّ حتّى الممات... والتسليم على الصبيان لتكون سنّة بعدي"[٢٣].

٤ـ مطابقة العمل للقول:

إذا تمكّن الوالدان والمربّون من العمل طبق ما يقولون، يكونون بذلك قد اختاروا أكثر الأساليب المؤثّرة والمفيدة في التربية وبالتالي يمكنهم بذلك التأثير في الأبناء بشكل غير مباشر. وتكون وصايا الوالدين ونصائحهما مفيدة إذا شاهدها الأطفال تصدر عنهما وتتجلى في أعمالهما فيكونان قدوة لهم.

يتحدّث الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حول الخصال الحميدة لأحد أصدقائه ويذكره بصفات جميلة، يقول: "كان لا يقول ما لا يفعل ويفعل ما لا يقول"[٢٤].

وان التربية لا تشتمل تربية الاطفال فقط في كلام الائمة المعصومين عليهم السلام بل شمل تربية الامة الاسلامية جمعاء في كل اشكالها كتربية الاصحاب وتربية الازواج وان حياة ائمة أهل البيت عليهم السلام حافلة بتوجيه وتربية وتعليم المسلمين إلى التقرب لله تعالى، والترغيب اليه، والحث على طاعته، فهم يتوسلون لذلك بكل السبل، وشتى الوسائل ولم يقتصر برنامجهم التثقيفي على القاء الدروس فقط، بل تضمن السلوك العملي بالإضافة إلى الخطب، والوصايا، والكتب، كما حفظ لهم التاريخ بعض كلماتهم القصار، وهي لا تساويها مطولات غيرهم، لما اشتملت عليه من كنوز المعرفة وعلاج الكثير من امراضنا الاجتماعية والدعوة إلى الحق والفضيلة. نذكر بعض من الحكم التي من التأكيد سوف تربينا وهي:

قال الامام الحسن عليه السلام: لا تعجل الذنب بالعقوبة واجعل بينهما للاعتذار طريقا[٢٥].

وقال عليه السلام: المزاح يأكل الهيبة، وقد أكثر من الهيبة الصامت[٢٦].

وقال عليه السلام: لا ادب لمن لا عقل له، ولا مروءة لمن لا همة له، ولا حياء لمن لا دين له، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل، وبالعقل تدرك الداران جميعاً، ومن حرم العقل حرمهما جميعاً[٢٧].

وفي رواية عن قضاء الحاجة ذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق، في ترجمة الحسن عليه السلام حديث ٢٥٣، بعد حذف السند: عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: خرج الامام الحسن عليه السلام يطوف بالكعبة، فقام إليه رجل فقال: يا ابا محمد اذهب معي في حاجتي إلى فلان، فترك الطواف وذهب معه، فلما اعترضه رجل حاسد للرجل الذي ذهب معه، فقال: يا أبا محمد تركت الطواف وذهبت مع فلان إلى حاجته؟ قال: فقال له الحسن عليه السلام: كيف لا أذهب معه ؟ ورسول الله صلى الله عليه وآله قال: من ذهب في حاجة أخيه المسلم فقضيت حاجته كتبت له حجة وعمرة، وان لم تقض له كتبت له عمرة، فقد اكتسبت حجة وعمرة ورجعت إلى طوافي[٢٨].

أبناءه في واقعة الطف:

ـ القاسم بن الحسن عليه السلام:

كان عمه الحسين عليه السلام في واقعة الطف واستشهد بين يديه، روى الشيخ المفيد عن حميد ابن مسلم، قال فبينا كذلك اذ خرج علينا غلام كأن وجهه شقة قمر في يده سيف وعليه قميص وازرار ونعلان، قد انقطع شسع إحديهما، فقال لي عمر ابن سعد بن نفيل الأزدي والله لأشدّنّ عليه فقلت: سبحان الله وما تريد بذلك، دعه يكفيكه هؤلاء القوم الذين ما يبقون على أحد منهم.

فقال: والله لأشدّنّ علي، فشدّ عليه، فما ولى حتّى ضرب رأسه بالسيف ففلقه، ووقع الغلام لوجهه، فقال: يا عماه، فجلا الحسين عليه السلام، يجلى الصقر، ثم شدّ شدة ليث أغضب، فضرب عمر بن سعد ابن نفيل بالسيف، فاتقاها بالساعد،

فقطعها من لدن المرفق، فصاح صيحة سمعها أهل العسكر، ثم تنحّى عنه الحسين عليه السلام وحملت خيل الكوفة ليستنقذوه، فتوطّأته بأرجلها حتّى مات وانجلت الغبرة.

فرأيت الحسين عليه السلام قائماً على رأس الغلام وهو يفحص برجليه والحسين عليه السلام يقول: بعداً لقوم قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدّك، ثم قال: عزّ والله كثر واتره، ثم حمله على صدره، وكأني أنظر إلى رجلي الغلام تخطّان الارض فجاء به حتى ألقاه مع ابنه علي بن الحسين والقتلى من أهل بيته، فسألت عنه فقيل لي هو القاسم بن الحسن بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام[٢٩].

ـ عبد الله بن الحسن عليه السلام:

وأيضاً ممّن شهد وقعة عاشوراء واستشهد مع عمّه عليه السلام، قال المفيد: فخرج اليهم عبد الله بن الحسن عليه السلام وهو غلام لم يراهق من عند النساء، فشدّ حتّى وقف إلى جنب عمّه الحسين عليه السلام، فلحقته زينب بنت عليّ عليه السلام لتحبسه، فقال لها الحسين عليه السلام احبسيه يا أُختي، فأبى وامتنع عليها امتناعاً شديداً.

قال: والله لا اُفارق عمّي، وأهوى أبجر بن كعب إلى الحسين عليه السلام بالسيف، قال له الغلام: ويلك يا بن الخبيثة أتقتل عمّي، فضربه أبجر بالسيف فاتّقاها الغلام بيده وأطنّها إلى الجلد، فاذا يده معلّقة، ونادى الغلام يا اُماه فأخذه الحسين عليه السلام فضمّه اليه، فقال يا بن أخي اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فان الله يلحقك بآبائك الصالحين[٣٠].

ـ عبد الرحمن بن الحسن عليه السلام:

كان خرج مع عمّه الحسين عليه السلام إلى الحج فتوفي بالأبواء على ما نقله الكليني في الكافي، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن يونس بن يعقوب، عن ابي مريم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: توفي عبد الرحمن بن الحسن بن عليّ بالأبواء وهو محرم، ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وعبد الله وعبيد الله ابنا العباس، فكفنوه

وخمّروا وجهه ورأسه ولم يحنّطوه، وقال: هكذا في كتاب علي عليه السلام[٣١].

مواقفه في حياة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام:

الامام الحسن عليه السلام الابن البار:

لقد تميز دور الامام السبط عليه السلام في عهد ابيه عليه السلام، وفي ايام خلافته على وجه التحقيق، بالخضوع التام لأوامر ابيه وقدوةً وإماماً، وقد كان يتلقى أوامره لا كابن بار فحسب، وانما كجندي فدائي مطيع، بكل ما في كلمة الجندي من مظامين الطاعة والانضباط، الواعية المدركة لمسؤولياتها[٣٢].

١ـ حرب الجمل:ـ

روى الشيخ المفيد في أماليه عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال لولده الحسن عليه السلام في يوم الجمل: قم يا بني اخطب، فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس قد بلغتنا مقالة ابن الزبير وقد كان والله يتجنى على عثمان الذنوب وقد ضيق عليه البلاد حتى قتل، وان طلحة راكز رايته على بيت ماله وهو حي، واما قوله: إن علياً ابتز الناس أمرهم، فان أعظم حاجة لأبيه انه بايعه بيده ولم يبايع بقلبه فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة، فليأت على ما ادعاه ببرهان، وأنى له بذلك.

أما تعجبه من تورد أهل الكوفة على أهل البصرة، فما عجبه من أهل حق توردوا على أهل باطل، ولعمري والله ليعلمن أهل البصرة وميعاد ما بيننا وبينهم اليوم نحاكمهم إلى الله تعالى، فيقض الله الحق وهو خير الفاصلين[٣٣].

خطاب الإمام الحسن عليه السلام في معركة الجمل:

فشلت جميع ا لمحاولات لتهد ئ ة الأوضاع وإعادة المتمرّدين إلى الطاعة، فقد كان عبدالله بن الزبير من أشدّ المحرّضين على إثارة الفتنة وإراقة الدماء، وقد لتحقيق السلم، وقد خطب في جموع عليه السلام أفسد جميع الوسائل التي صنعها الإمام البصريين ودعاهم إلى الحرب تحت ذريعة الطلب بدم عثمان .فبلغ خطابه أمير قم

يا بنيّ فاخطب، فقام خطيب اً فحمد الله:عليه السلام فقال للإمام الحسنعليه السلام المؤمنين أيّها الناس قد بلغتنا مقالة ابن الزبير، وقد كان والله يتجنّى على: ((وأثنى عليه وقال عثمان الذنوب، وقد ضيّق عليه البلاد حتى قتل، وإنّ طلحة راكز رايته على بيت ماله وهو حيّ، وأمّا قوله إنّ عليّاً ابتزّ الناس أمرهم فإنّ أعظم حجّة لأبيه زعم أنه بايعه بيده ولم يبايعه بقلبه فقد أقرّ بالبيعة وادّعى الوليجة فليأتي على ما ادّعاه ببرهان، وأنّى له ذلك، وأمّا تعجّبه من تورد أهل الكوفة على أهل البصرة فما أعجبه من أهل حق توردوا على أهل باطل، ولعمري والله ليعلمنّ أهل البصرة وميعاد بيننا وبينهم اليوم نحاكمهم إلى الله تعالى فيقضي الله الحقّ وهو خير الفاصلين[٣٤] وحينما اشتدّ القتال وكثر القتلى من الطرفين، دعا الإمام علي الفاصلين فذهب اقصدّ ذا الرمح قصد الجمل : محمد ابن الحنفية فأعطاه رمحه، وقال له فمنعه بنو ضبّة، فلمّا رجع إلى والده، انتزع الحسن رمحه من يده، وقصد الجمل وطعنه برمحه، ورجع إلى والده وعلى رمحه أثر الدم[٣٥]. وبعد مقتل الجمل الذي عليه عائشة انهزم الناس[٣٦]. فقد كان دور الإمام الحسن عليه السلام هو دور المدافع باللسان والسنان معاً، فقد ردّ على خطاب ابن الزبير، وحسم المعركة بقتل الجمل[٣٧].

٢ـ معركة صفين:ـ

احتشد الجيشان في صفين، وبذل الامام علي عليه السلام العديد من المساعي لتفتدي وقوع الحرب مع معاوية، إلا انها لم تفلح، مما اضطر الامام علياً عليه السلام لخوض غمار الحرب استمرت عدة اشهر، وراح خلالها - ضحية لسلطوية معاوية - الآلاف من المسلمين والمؤمنين.

وكان للإمام الحسن عليه السلام دور بارز في حرب صفين، فقد نقل المؤرخون: أن الامام علي بن أبي طالب عليه السلام عندما نظم صفوف جيشه جعل الميمنة بقيادة الامام الحسن عليه السلام وأخيه الامام الحسين عليه السلام وعبد الله بن جعفر ومسلم بن عقيل[٣٨]، وفي هذه الاثناء اراد معاوية ان يجس نبض الامام الحسن عليه السلام فبعث اليه عبيد الله

ابن عمر يمنيه بالخلافة ويخدعه حتى يترك أباه عليه السلام فانطلق عبيد الله، فقال له: لي اليك حاجة.

فقال له عليه السلام: نعم، ما تريد؟، فقال له عبيد الله: "ان اباك قد وتر قريشاً أولاً وآخراً، وقد شنؤوه فهل لك ان تخلفه ونوليك هذا الامر؟"[٣٩]، فأجابه الامام الحسن عليه السلام بكل حزم: "كلا والله لا يكون ذلك"[٤٠]، ثم اردف قائلاً: " لكأني أنظر إليك مقتولاً في يومك أو غدك، أما إن الشيطان قد زين لك وخدعك حتى اخرجك مخلقاً بالخلوق[٤١] وترى نساء أهل الشام موقفك، وسيصرعك الله ويبطحك لوجهك قتيلاً"[٤٢].

ورجع عبيد الله إلى معاوية وهو خائب حسير قد اخفق في مهمته، واخبره بحديث الامام عليه السلام فقال معاوية: "إنه ابن أبيه"[٤٣].

وخرج عبيد الله في ذلك اليوم إلى ساحة الحرب يقاتل مع معاوية، فلقية حتفه سريعاً على يد رجل من قبيلة همدان، واجتاز الامام الحسن عليه السلام في ساحة المعركة، فرأى رجلاً قد توسد رجلاً قتيلاً وقد ركز رمحه في عينه وربط فرسه في رجله فقال الامام عليه السلام لمن حوله: انظروا من هذا ؟ فأخبروه أن الرجل من همدان وإن القتيل عبيد الله بن عمر[٤٤].

ومن الواضح أن هذا الحادث من كرامات الإمام الحسن عليه السلام حيث اخبر عن مصير عبيد الله قبل وقوعه، وأنبأه بنهايته الذليلة، وقد تحقق ذلك بهذه السرعة[٤٥].

٣ـ خطبته عند استشهاد أبيه:

لما استشهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رقى الحسن بن علي عليه السلام على المنبر فأراد الكلام فخنقته العبرة فقعد ساعة، ثم قام فقال :الحمد لله الذي كان في أوليته، وحدانيا في أزليته، متعظما بالهيبة، متكبرا بكبريائه وجبروته، ابتدأ ما ابتدع، وأنشأ ما خلق على غير مثال كان سبق مما خلق، ربنا اللطيف بلطف ربوبيته، وبعلم خبره

فتق، وبأحكام قدرته خلق جميع ما خلق، فلا مبدل لخلقه ولا مغير لصنعه، ولا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، ولا مستراح عن دعوته، خلق، ولا زوال لملكه، ولا انقطاع لمدته فوق كل شيء علا، ومن كل شيء دنى، فتجلى لخلقه من غير أن يكون يرى، وهو بالمنظر الأعلى احتجب بنوره، وسمى في علوه، فاستتر عن خلقه، وبعث إليهم شهيدا عليهم وبعث فيهم النبيين مبشرين ومنذرين، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، وليعقل العباد عن ربهم ما جهلوه، فيعرفوه بربوبيته بعد ما أنكروه والحمد لله الذي أحسن الخلافة علينا أهل البيت، وعنده نحتسب عزانا في خير الآباء رسول صلى الله عليه وآله، وعند الله نحسب عزانا في أمير المؤمنين عليه السلام، ولقد أصبنا به الشرق والغرب، والله ما خلف درهما ولا دينارا إلا أربعمائة درهم أراد أن يبتاع[٤٦].

٤ـ خروج الامام الحسن عليه السلام لدفن عثمان:ـ

ما ان قتل عثمان، إلا واحجم القوم، ما بين شامت وباك ووجل، وامتلكتهم الدهشة، لا يدرون ما يفعلون، لذا بقي ثلاثة ايام لم يدفن، إذ إن كل من حاول الإقدام على دفنه، ظُن به أنه من انصاره، لذا وجم الجميع[٤٧].

ثم إن حكيم بن حزام القرشي، وجبير بن مطعم، كلّما علياً في ذلك فأذن لهما، فلما علم ذلك أعداؤه رصدوا لهما في الطريق ليرموهما بالحجارة. أما الامام الحسن عليه السلام فقد رأى أن يجابه بكل حزم كل من يعترض الواجب الديني والأخلاقي الذي يملي عليه أن يواري جسد مسلم، فخرج بجنازته ومعه الزبير وأبو جهم ومروان، بين المغرب والعشاء، ولما علم علي عليه السلام بمن جلس على الطريق ليرجم الجنازة، منعه عنهم.

وجاء ناس من الانصار أرادوا منعهم من الصلاة عليه، ثم تركوهم خوف الفتنة.

وقيل إن علياً أيضاً خرج في جنازته، فأتوا به حائطاً من حيطان المدينة يسمى حش كوكب - وهو خارج البقيع - فلما ظهر معاوية أمر بهدم الحائط وأدخل في

البقيع وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره[٤٨].

ولكن يقال كيف رضي علي عليه السلام بأن يبقى عثمان ثلاثة ايام دون دفن؟ فنقول إن علياً عليه السلام كان يحاول الانحياد وعدم الخوض في دم عثمان إن لما قتل جاءت الوفود من الامطار فرحة بقتله، ينظر اليه القريب، ومن هنا كان إقدام علي عليه السلام على دفنه باختياره، رمياً له بالسير على خطه ومنهجه، لذا فقد تشب معركة ضارية بين علي عليه السلام وبينهم أو على الأقل سيتهم بميله إليه[٤٩].

وقد لا يجد أعواناً على ذلك، لكنه عليه السلام عندما وجد من يسأله ويستأذنه في ذلك فإنه سرعان ما أذن لهم بل ساعدهم في مواراته لما وقف بالمرصاد لمن حاول منعهم من دفنه أو من الصلاة عليه.

فعند ذلك انطفأت شرارة الفتنة بهدوء، دون إشعال فتيلها من جديد.

ولولا الخطة التي سار عليها علي عليه السلام وولداه في قضية عثمان، لوقعوا في قفص الاتهام المباشر ولجرى أكثر مما جرى[٥٠].

الامام الحسن عليه السلام في الصلح مع معاوية:

وجد الإمام الحسن عليه السلام نفسه أمام مرحلة طويلة من الإعداد، وإصلاح وترميم كثيرٍ من المواقع السياسيّة والعسكريّة، وحتّى الاقتصاديّة والاجتماعية، وهو يرى أنّه يقود جيشاً منهاراً عسكرياً ومعنوياً، لا يمكن جعله منقاداً إلاّ وهلو عليه السلام غير مستعدّ باستخدام وسائل وأساليب كالّتي يستخدمها معاوية، لاستخدام تلك الوسائل والأساليب غير المشروعة كالخداع والتضليل وشراء الضمائر بأموال المسلمين وإنفاقها على جماعة خاصّة كرؤساء القبائل وقادة الجيش، فالإمام عليه السلام مقيدّ بقيود شرعيّة حاكمة على جميع ممارساته ومواقفه. وليس هدفه البقاء في السلطة الآنيّة وإنّما هو جزء من حركة إصلاحيّة تنظر إلى الحاضر والمستقبل، لكي تبقى المفاهيم والقيم الإسلامية هي الحاكمة على أفكار المسلمين وعواطفهم وممارساتهم العمليّة على طول الحركة التاريخيّة لهم. وكان

عليه السلام حريصاً على المصلحة الإسلامية الكبرى، ومصلحة أهل البيت عليهم السلام وحيث وجد عليه السلام أنّه لا يستطيع - بحسب الظروف القائمة - أن يحسم الموقف لصالح الوجود الإسلامي، ولا يستطيع القضاء على رأس الفتنة الّتي كان يقودها المجرم الطليق معاوية، لذا أصبح أمام خيارين: إمّا الاستمرار في معركة خاسرة تؤدّي إلى إضعاف الكيان الإسلامي ككلّ أمام التحديات الخارجيّة، أو الميل إلى الصلح وحقن الدماء، والمحافظة على الوجود الإسلامي ثمّ ممارسة الإصلاح من الداخل. والخيار الأول يعني استيلاء معاوية على الحكم دون قيد أو شرط بعد مقتل الإمام الحسن عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام والخيرة من أصحابه، ومن هنا اختار عليه السلام الصلح على الاستمرار في المعركة، مقيّدا بشروط فيها مصلحة الكيان الإسلامي وكيان الجماعة الصالحة التي تضمن للشريعة بقاءها واستمرار حياتها. فالصلح إذن جاء منسجماً مع تلك الظروف تماماً وإن حاول أنصار الطلقاء تغييب هذه الحقائق بشتى الأساليب كالكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه قال بشأن الإمام الحسن عليه السلام: ((أن ابني هذا سيد ولعل الله تبارك وتعالى أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)). وهو خبر واحد لا يوجب علماً ولا عملاً تفرّد به الحسن البصري عن أبي بكرة ولم يروه أحد غير[٥١] وأبو بكرة من المنافقين النواصب المنحرفين عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وكان - قبّحه الله - يحرّض الناس على عدم البيعة للإمام علي عليه السلام بعد هلاك عثمان[٥٢] .

موقف الامام الحسين عليه السلام من صلح أخيه الحسن عليه السلام:

قال المدائني: فلما كان عام الصلح - الذي سمي بعام الجماعة - اقام الحسن عليه السلام اياماً بالكوفة أياماً، ثم تجهز للشخوص إلى المدينة، فدخل عليه المسيّب بن نجية الفزاري، وظبيان بن عمارة التيمي ليودعاه، فقال الحسن عليه السلام الحمد لله الغالب على امره، لو أجمع الخلق جميعاً على ألا يكون ما هو كائن ما استطاعوا، فقال اخوه الحسين عليه السلام: لقد كنت كارهاً لما كان طيّب النفس على سبيل أبي، حتى عزم علي أخي، فأطعته، وكأنما يجذ أنفي بالمواسي[٥٣].

وقال ابن قتيبة: ثم خرج سليمان بن صرد من عند الحسن عليه السلام - وكان قد عرض على الامام معاوية الحرب فأبى عليه السلام - فدخل على الحسين فعرض عليه ما عرض على الحسن، فاخبره بما ردّ عليه الحسن، فقال الحسين: ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته، ما دام معاوية نظرنا ونظرتهم، ورأينا ورأيتم(٥٤).

وقال في المناقب: ولما تم الصلح دخل الحسين عليه السلام على أخيه باكياً ثم خرج وهو يضحك، فقال له مواليه: ما هذا؟

قال: أتعجب من دخولي على امام اريد ان اعلمه فقلت: ماذا دعاك إلى تسليم الخلافة؟

فقال: الذي دعا أباك فيما تقدّم(٥٥).

ولكن يرد على الرواية الاولى بعدة ردود:

أولاً: إن الامام الحسين عليه السلام قد مدح اخاه الحسن عليه السلام في تأبينه كمّا مرّ معنا سابقاً، ورأى عليه السلام أن فعل أخيه كان رويَّة وتقية.

ثانياً: لقد كان رأي الحسين عليه السلام كرأي الحسن عليه السلام وهذا ما نراه من قوله للأصحاب عندما جاؤوا يطلبون الخروج للحروب، واستعدادهم لبيعته فأبى عليه السلام وقال: صدق أبو محمد، فليكن كل رجل منكم حلساً من احلاس بيته، ما دام هذا الإنسان حياً، بل بعد موت أخيه عليه السلام دافع عن قضية الصلح وكتب رسالة لأهل الكوفة يأمرهم بالسكوت لموت معاوية.

إذ بعثت زعماء العراق رسائل عدة للإمام الحسين عليه السلام تدعوه للتأهب للحرب بعدما استشهد الإمام الحسن عليه السلام فقال: ما دام معاوية على قيد الحياة فلا أتحرك بكل شيء، وإذا مات نظرت في الأمر.

ثالثاً: الرواية الثالثة التي تبين رضا الحسين عليه السلام بذلك، فان دخوله باكياً

كذرف الدموع أمر طبيعي في هذا الموقف، الذي يظهر للملأ بأنه إنكسار وذل - مع عدم العلم بالمصلحة - وخرج وهو ضاحكاً لما بيّن له الامام عليه السلام وجه المصلحة، اما قول الحسين عليه السلام اريد ان أعلمه، فلا بأس بذلك، بعد قول النبي موسى عليه السلام للخضر سلام الله عليه، كما ورد في القرآن الكريم ﴿ . . . هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ﴾[٥٦]، مع أن نبي الله موسى عليه السلام أشرف منه وأجل عند الله تعالى.

نعم الحسين عليه السلام رضي بذلك ولكنه لم يبايع معاوية، إذ إنه لما طلب معاوية البيعة من الحسين عليه السلام فقال الحسن عليه السلام: يا معاوية لا تكرهه، فإنه لن يبايع أبداً أو يقتل ولن يقتل حتى يقتل أهل بيته، ولن يقتل اهل بيته حتى يقتل أهل الشام.

وهذا دليل على ان الحسن عليه السلام أيضاً لم يبايع معاوية، بل جعل الصلح بينهما هدنة وموادعة[٥٧].

أخلاق الامام تفصح عن تربية صالحة:ـ

- ذكر نعم الله:

روى في الكاشف عن الحسن بن علي عليه السلام أنه رأى رجلاً يركب دابة فقال: سبحان الذي سخّر لنا هذا فقال: أبهذا امرتم؟ فقال: وبم أمرنا؟

قال: أن تذكروا نعمة ربكم. وقوله: ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾[٥٨] أي صائرون شهادة بالمعاد[٥٩].

- كرم الامام عليه السلام:

أتاه رجل يطلب حاجة وهو يستحيي من الحاضرين أن يفصح عنها، فقال له الإمام: اكتب حاجتك في رقعة وارفعها إلينا. فكتب الرجل حاجته ورفعها. فضاعفها له الإمام مرتين، وأعطاه في تواضع كبير.

فقال له بعض الشاهدين ما كان أعظم بركة الرقعة عليه، يا بن رسول الله!.

فقال: بركتها إلينا أعظم حين جعلنا للمعروف أهلاً، أما علمت: إن المعروف ما كان ابتداءً من غير مسألة. فأمَّا مَن أعطيته بعد مسألة فإنما أعطيته بما بذل لك من وجهه. وعسى أن يكون بات ليلته متململاً أرقا، يميل بين اليأس والرجاء ليعلم بما يرجع من حاجته أبكآبة ردّ، أم بسرور النجح، فيأتيك وفرائصه ترعد، وقلبه خائف يخفق، فإن قضيت له حاجته فيما بذل من وجهه فإن ذلك أعظم مما ناله من معروفك[٦٠].

وجاءه أعرابي يريد أن يسأله حاجة، فقال الإمام لمن حوله: أعطوه ما في الخزينة. فوجد فيها عشرون ألف درهم، فدفعت إليه قبل أن يسأل. فاندهش الأعرابي وقال: يا مولاي ألاّ تركتني أبوح بحاجتي وأنشر مدحتي، فأنشأ الإمام يقول:

نحنُ أناسٌ نوالنا خضلٌ ... يرتعُ فيه الرجاءُ والأملُ

تجودُ قبلَ السؤالِ أنفسُنا ... خوفاً على ماء وجْهِ مَن يَسلُ[٦١]

- المتواضع الحليم:

مرّ بطائفة من الفقراء جلوساً على كسيرات من الرغيف يأكلونها، فلما رأوا موكب الإمام قاموا إليه، ودعوه إلى طعامهم قائلين هلّم يا بن رسول الله إلى الغداء، فنزل وهو يقول: (إن الله لا يحب المتكبرين) وجعل يأكل معهم ثم دعاهم إلى ضيافته فأطعمهم وكساهم[٦٢].

وعصفت به ظروف عصيبة أن لو مرت على الجبال لتدكدكت، وازدحمت فوق كتفيه مسؤوليات عظيمة فاضطلع بها وتغلب على صعابها في حلم وأناة، مما دفع أشدّ الناس عداوة له - وهو مروان - إلى أن يقول: كان من حلمه ما يوازن به الجبال. وكانت صفة الحلم أبرز سماته عليه السلام، حيث كان يشبّه فيها بالنبي صلى الله عليه وآله[٦٣].

اخلاق صحابته تفصح عن تربية صالحة ومواقفهم:

عن الامام عليه السلام، عن بعض اصحابه من العراقيين، رفعه قال: خطب الناس الحسن بن علي صلوات الله عليهما فقال: أيها الناس أنا اخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد، كان خارجاً من سلطان فرجه، فلا يستخف له عقله ولا رأيه، كان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمد يده إلا على ثقة لمنفعة، كان لا يشتهي ولا يتسخط ولا يتبرم، كان أكثر دهره صامتاً.

فإذا قال بذّ القائلين كان لا يدخل في مراء، ولا يشارك في دعوى، ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضياً، وكان لا يغفل عن إخوانه ولا يخص نفسه بشيء دونهم، كان ضعيفاً مستضعفاً فاذا جاء الجد كان ليثاً عادياً كان لا يلوم أحداً فيما يقع العذر في مثله حتى يرى اعتذاراً، كان يفعل ما يقول ويفعل ما لا يقول، كان أذا ابتزّه أمران لا يدري أيهما فضل نظر إلى أقربهما إلى الهوى فخالفه.

كان لا يشكو وجعاً إلا عند من يرجو عنده البرء، ولا يستشير إلا من يرجو عنده النصيحة، كان لا يتبرم وكان لا يتسخط ولا يتشكى ولا يتشهى ولا ينتقم ولا يغفل عن العدو، فعليكم بمثل هذه الأخلاق الكريمة، إن اطلقتموها، فان لم تطبقوها كلها فأخذ القليل خير من ترك الكثير ولا حول ولا قوة إلا بالله[٦٤].

من وصايا الامام الحسن عليه السلام:

- يا ولدي يا قاسم! أوصيك: أنك إذا رأيت عمّك الحسين في كربلاء وقد أحاطت به الأعداء، فلا تترك البراز والجهاد، لأعداء الله وأعداء رسوله، ولا تبخل عليه بروحك، وكلّما نهاك عن البراز، عاوده ليأذن لك في البراز، لتحظى في السعادة الأبديّة.
- ولما دنت الوفاة من الإمام الحسن استدعى أخاه الحسين فقال له: (اكتب

يا أخي) واملى عليه هذه الوصية:.. هذا ما أوصى به الحسن بن عليّ إلى أخيه الحسين بن علي، أوصى أنه: يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّه يعبده حقّ عبادته، لا شريك له في الملك، ولا وليّ له من الذلّ، وأنه خلق كلّ شيء، فقدّره تقديراً، وأنه أولى من عبد، وأحقّ من حمد، من أطاعه رشد، ومن عصاه غوى، ومن تاب إليه اهتدى، فإني أوصيك يا حسين بمن خلّفت من أهلي وولدي وأهل بيتك: أن تصفح عن سيئهم، وتقبل من محسنهم وتكون لهم خلفاً ووالداً.

وأن تدفنّي مع رسول الله فإني أحقّ به، وببيته ممّن أدخل بيته بغير إذنه، ولا كتاب جاءهم من بعده، قال الله فيما أنزله على نبيّه في كتابه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ فو الله ما أذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه، ولا جاءهم الإذن في ذلك من بعد وفاته، ونحن مأذون لنا في التصرّف فيما ورثناه من بعده، فإن أبت عليك الامرأة، فأنشدك بالله وبالقرابة التي قرّب الله عزّ وجلّ منك، والرحم الماسّة من رسول الله: أن لا تهريق في محجمةٍ من دم، حتّى نلقى رسول الله، فنختصم اليه، ونخبره بما كان من الناس إلينا من بعده[٦٥].

الخاتمة:

الكتابة في حياة أهل البيت عليهم السلام مسك في الاول والختام وحياة سيد شباب اهل الجنة عطر من الجنة وروحه مونقة بشذى عطر جده الاعظم صلى الله عليه وآله فقد أخذ هذا المربي بيد الاجيال لينير لهم الدرب في ظلمات هذه الدنيا فيخرجهم إلى النور.

وإن للتاريخ ودراسته اهمية عظمى فكيف بدراسة حياة سيرة الرسول صلى الله عليه وآله والائمة الاطهار عليهم السلام وهم القادة الربانيون الذين لا تمثل حياتهم جزءاً عظيماً وفصلاً منيراً من تأريخ الامة فحسب وانما تعبر عن دينها وشريعتها ومرجعيتها العقائدية والسلوكية فهم مهبط الوحي ومعدن العلم والسبيل إلى الله تعالى، وهذا التأمل في التأريخ يمنح الفرد منا عمراً تاريخياً يختزن من خلاله لكل تجارب

السابقين فيتحرك عن بصيرة واحاطة وخبره يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام: -

(أي بني اني لو لم لكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في اعمالهم وفكرت في اخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم بل كأني بما انتهى الي من امورهم وقد عمرت مع اولهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره)[٦٦] وقد كان الامام الحسن عليه السلام مربياً واستاذاً فقد اثر في حياة الانسانية على مر الاجيال فضلاً عن معاصريه من اولاده واصحابه فهذه مواقف اولاده في واقعة الطف تشهد بتربية صالحة وكذلك مواقف الصحابة واخلاقهم.

أما مواقفه في حياة ابيه عليه السلام فقد ملأت التأريخ انواراً يقتدى بها بما دافع عن دين الله تعالى وارسى قواعده وما يفصح ذلك إلا عن تربية صالحة واساساً صحيحاً بُنيَّ عليه طوراً شامخاً كان وما يزال وريث جده الأعظم صلى الله عليه وآله للسؤدد والهيبة والمروءة.

هوامش البحث

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ٢٨/٤؛ الارشاد، المفيد:١٨٧؛ أسد الغابة: ١٠/٢؛ الاصابة في تمييز الصحابة: ٣٢٨/١، نقلا عن سيرة الائمة عليهم السلام، مهدي البيشوائي: ٨٥.

(٢) سيرة الائمة عليهم السلام، مهدي البيشوائي: ٨٥.

(٣) منهج التربية عند الامام علي عليه السلام، الاديب: ٣٠.

(٤) الدعوات، قطب الدين الراوندي، قم، مدرسة الإمام المهدي، ١٤٠٧هـ.ق، ص١٤٤ و١٤٥، نقلاً عن سيرة وكلام الامام المجتبى عليه السلام، عبد الكريم التبريزي: ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ١٠٩.

(٦) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٧) سورة سبأ، الآية: ٤٧.

(٨) طرائق التربية دراسة في آراء الامام الخميني التربوية، مهدي الموسوي الكاشمري، عربها السيد حسن النمر الصائغ الموسوي، دار الولاء، بيروت، لبنان،١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص: ١٥٢، نقلاً عن الأمالي، الشيخ الطوسي: ٧٢٢.

(٩) طرائق التربية دراسة في آراء الامام الخميني التربوية، مهدي الموسوي الكاشمري، عربها السيد حسن النمر الصائغ الموسوي ص: ١٥٣، نقلاً عن بحار الانوار باب ان للايمان درجات ومنازل: ٣٣٠.
(١٠) معرفة الله من ابحاث السيد كمال الحيدري، ج٢، ص٢٣٠، دار المرتضى بيروت، بقلم طلال الحسن، الطبعة الجديدة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، نقلاً عن الاختصاص، ص: ٦٦.
(١١) سيرة وكلام الامام المجتبى عليه السلام، عبد الكريم التبريزي: ٢٢٤ - ٢٢٦.
(١٢) مكارم الأخلاق، ص٢٣٣، نقلا عن سيرة وكلام الامام المجتبى عليه السلام، عبد الكريم التبريزي.
(١٣) الاحتجاج للطبرسي، ج١، ص٢٧٩. نقلاً عن سيرة وكلام الامام المجتبى عليه السلام، عبد الكريم التبريزي.
(١٤) تحف العقول، ص٢٣٣. نقلاً عن سيرة وكلام الامام المجتبى عليه السلام، عبد الكريم التبريزي.
(١٥) تحف العقول، ص٢٣٥. نقلاً عن سيرة وكلام الامام المجتبى عليه السلام، عبد الكريم التبريزي.
(١٦) سيرة وكلام الامام المجتبى عليه السلام، عبد الكريم التبريزي: ٢٢٦ - ٢٣٠.
(١٧) منية المريد، ص٣٤٠. نقلا عن سيرة وكلام الامام المجتبى عليه السلام، عبد الكريم التبريزي.
(١٨) المعجم الكبير للطبراني. نقلا عن سيرة وكلام الامام المجتبى عليه السلام، عبد الكريم التبريزي.
(١٩) الطفل الفلسفي كودك فلسفي، ج١، ص١١٥. نقلا عن سيرة وكلام الامام المجتبى عليه السلام، عبد الكريم التبريزي.
(٢٠) اعلام الورى، ص٢١١. نقلا عن سيرة وكلام الامام المجتبى عليه السلام، عبد الكريم التبريزي.
(٢١) حياة الحسن عليه السلام، ج١، ص٣٢٩. نقلا عن سيرة وكلام الامام المجتبى عليه السلام، عبد الكريم التبريزي.
(٢٢) مسند الإمام المجتبى عليه السلام، ص٦٨٨. نقلا عن سيرة وكلام الامام المجتبى عليه السلام، عبد الكريم التبريزي.
(٢٣) الخصال، ج١، ص٢٧١، نقلا عن سيرة وكلام الامام المجتبى عليه السلام، عبد الكريم التبريزي.
(٢٤) تحف العقول، ص٢٣٤. نقلا عن سيرة وكلام الامام المجتبى عليه السلام، عبد الكريم التبريزي.
(٢٥) من سيرة العظماء، حسين الشاكري: ٨٤.
(٢٦) من سيرة العظماء، حسين الشاكري: ٨٤.
(٢٧) أعيان الشيعة: ٤ق١ / ١٠٧. نقلاً عن من سيرة العظماء، حسين الشاكري، ٨٥.
(٢٨) من سيرة العظماء، حسين الشاكري: ٦٨.
(٢٩) الارشاد: ٢٢٣، نقلاً عن مسند الامام الحسن عليه السلام: ٤٧٢ - ٤٧٣.
(٣٠) الارشاد: ٢٥٣، نقلاً عن مسند الامام الحسن عليه السلام: ٤٧٣ - ٤٧٤.
(٣١) الكافي: ٣٦٨/٤، نقلاً عن مسند الامام الحسن عليه السلام: ٤٧٤.
(٣٢) من سيرة العظماء، حسين الشاكري: ١٠٢.
(٣٣) مسند الامام المجتبى، ٢٤٧ - ٢٤٨.
(٣٤) الجمل، الشيخ المفيد: ١٧٥، نقلاً عن الامام الحسن سيرة وتأريخ، ٤٧ - ٤٨.
(٣٥) مناقب آل ابي طالب، ٢٥/٤، نقلاً عن الامام الحسن سيرة وتأريخ، ٤٧ - ٤٨.
(٣٦) الإمام والسياسة، ٧٧/١، نقلاً عن الامام الحسن سيرة وتأريخ، ٤٧ - ٤٨.

(٣٧) الامام الحسن سيرة وتأريخ، كاظم العذاري: ٤٧ - ٤٨.
(٣٨) مناقب ابن شهر أشوب: ١٦٨/٣، نقلاً عن اعلام الهداية: ٩٣.
(٣٩) حياة الامام الحسن: ٤٩٢/١، نقلاً عن اعلام الهداية: ٩٣.
(٤٠) المصدر السابق: ٤٩٢/١ - ٤٩٣.
(٤١) الخلوق: الطيب، نقلاً عن اعلام الهداية: ٩٤.
(٤٢) المصدر السابق: ١ / ٤٩٢ - ٤٩٣.
(٤٣) المصدر السابق ورقم الصفحة.
(٤٤) الخلوق: الطيب، نقلاً عن اعلام الهداية: ٤٩٣.
(٤٥) اعلام الهداية الامام الحسن عليه السلام: ٩٤.
(٤٦) كفاية الاثر، نقلا عن الروائع المختارة من خطب الامام الحسن عليه السلام، الموسوي: ٩.
(٤٧) الموسوعة الكبرى لأهل البيت عليهم السلام، مهدي خليل جعفر: ٩٨.
(٤٨) الموسوعة الكبرى لأهل البيت عليهم السلام، مهدي خليل جعفر: ٩٨.
(٤٩) نفس المصدر السابق: ٩٩.
(٥٠) الموسوعة الكبرى لأهل البيت عليهم السلام، مهدي خليل جعفر: ٩٩.
(٥١) يُنظر هذا الحديث الموضوع في مسند أحمد ٦: ١٧ و ٢٧ و ٣٠ و ٣٧، وصحيح البخاري ٥:٣٢ باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام: والمعجم الكبير للطبراني ٣: ٣٣-٣٥، وسنن ابي داود، حديث ٤٦٦٢ من كتاب السنة، وسنن الترمذي، حديث ٣٧٩٨ باب مناقب الامام الحسن عليه السلام، نقلا عن الامام الحسن - سيرة وتاريخ، العذاري: ٨٥ - ٨٦.
(٥٢) انظر: سير أعلام النبلاء / الذهبي ٣: ٨، نقلاً عن الامام الحسن - سيرة وتاريخ، العذاري: ٨٥ - ٨٦
(٥٣) الموسوعة الكبرى لأهل البيت عليهم السلام، مهدي خليل جعفر: ٤ / ٢١٣.
(٥٤) المصدر السابق ورقم الصفحة.
(٥٥) الموسوعة الكبرى لأهل البيت عليهم السلام، مهدي خليل جعفر: ٤ / ٢١٤.
(٥٦) سورة الكهف، الآية:٦٦
(٥٧) الموسوعة الكبرى لأهل البيت عليهم السلام، مهدي خليل جعفر: ٤ / ٢١٤ - ٢١٥.
(٥٨) سورة الزخرف، الآية: ١٤
(٥٩) تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي: ج: ١٨/ص: ٩٠.
(٦٠) الامام الحسن عليه السلام قدوة وأسوة، المدرسي: ٣٢.
(٦١) الامام الحسن عليه السلام قدوة وأسوة، المدرسي: ٣٢.
(٦٢) الامام الحسن عليه السلام قدوة وإسوة، المدرسي: ٣٣.
(٦٣) نفس المصدر السابق ورقم الصفحة.
(٦٤) الكافي: ٢ / ٢٣٧، عن مسند الامام الحسن المجتبى عليه السلام، عزيز الله عطاردي: ٥٤٦ - ٥٤٧

(٦٥) ناسخ التواريخ، نقلاً من كلمة الامام الحسن عليه السلام.
(٦٦) الموسوعة الكبرى لأهل البيت عليهم السلام، ص: ٧، نقلاً عن نهج البلاغة، الكتاب ٣١ من وصيته للحسن عليه السلام.

قائمة المصادر والمراجع

- أعلام الهداية (الامام الحسن المجتبى عليه السلام)، لجنة تأليف، مطبعة ليلى، ط١، ج٤، قم المقدسة.
- الموسوعة الكبرى لأهل البيت عليهم السلام، فضيلة الشيخ مهدي خليل جعفر، مركز الشرق الاوسط الثقافي للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع، بيروت.
- الامام الحسن عليه السلام قدوة واسوة، محمد تقي المدرسي.
- الامام الحسن عليه السلام سيرة وتأريخ، سعيد كاظم العذاري، مركز الرسالة.
- الروائع المختارة من خطب الامام الحسن عليه السلام، مصطفى الموسوي ، تحقيق السيد مرتضى الرضوي، ط١، طهران، ١٩٧٥.
- تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، ج ١٨.
- سيرة الأئمة عليهم السلام، مهدي البيشوائي، عرض وتحليل للحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية للائمة المعصومين عليهم السلام، مطبعة مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، قم المقدسة.
- سيرة وكلام الامام المجتبى عليه السلام ، عبد الكريم التبريزي ،
- طرائق التربية دراسة في آراء الامام الخميني التربوية، مهدي الموسوي الكاشمري، عربها السيد حسن النمر الصائغ الموسوي ص: ١٥٣، نقلاً عن بحار الانوار باب ان للإيمان درجات ومنازل: ٣٣٠.
- كلمة الامام الحسن عليه السلام.
- مسند الامام الحسن عليه السلام، عزيز الله عطاردي، ط١.
- معرفة الله من ابحاث السيد كمال الحيدري، ج٢، ص٢٣٠، دار المرتضى بيروت، بقلم طلال الحسن، الطبعة الجديدة، ١٤٣١ه-٢٠١٠م، نقلاً عن الاختصاص، ص: ٦٦.
- من سيرة العظماء (الامام الحسن المجتبى عليه السلام)، حسين الشاكري، ج٦، ط١، مطبعة السرور، قم المقدسة، ٢٠٠١.